

محمد علي رائد التجديد في العالم العربي

د. محمود زايد

المؤرخون ومحمد علي

"ربما كان محمد علي باشا (١٨٢٩ – ١٨٤٩) هو الحاكم الوحيد من حكام المشرق العربي الذي نال اعترافاً واسعاً بعظمته في الشرق والغرب فقد ذهب معاصره إلفرنسي مانجان الى القول انه "الرجل الذي رفعته العناية الالهية فوق اقدار الرجال". وذهب جان لاكوتير الى القول ايضاً ان وصول سفن محمد علي باشا الى ميناء نافارينو وظهور ابنه ابراهيم في طوروس بآسيا الصغرى كان لهما معنى عميق. "فقد اظهرا ان مصر لم تكد تطل برأسها من وكرها حتى أخذت فجأة تلعب دوراً خطيراً في مداولات الدول العظمى... وقبل أن تنقضي اربعون سنة على بونابرت، اي على وصول الحملة الفرنسية الى مصر حتى صارت مصر تقف على قدم المساواة مع انجلترا وروسيا والباب العالي. ويقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي:

"لا جدال في أن محمد علي قد سما بأعماله إلى مصاف عظماء الرجال الرجال. وتتمثل لك عظمته من كونه نشأ نشأة متواضعة وتدرج من جندي بسيط إلى أن ارتقى عرش مصر، فأسس ملكاً عريضاً، وغالب دولا كباراً، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطبيعية، وبعث حضارة زاهرة، وانبت ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان. فالرجل الذي ينشىء كل ذلك، وكان لم يتلق تعليماً عالياً ولا اولياً، لا بد أن يعد بحق من عظماء الرجال".

ولكن مما يذكر أن محمد علي لم يلق بعد شيئاً من التقدير والتكريم اللذين يلقاهما من هم أقل منه شأناً بكثير وما تفسير هذا بعسير. فمحمد علي تركي ومنشىء سلالة حاكمة اقترن اسمها بعده بالاستبداد والفساد وسلخ المصريون اكثر من ثلاثة ارباع القرن وهم يحاولون التخلص منها. وكان من الطبيعي أن لا يذكر أحد على أثر قيام الثورة المصرية بأسقاطها سوى معايبها. هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فإن محمد علي – كباقي العظماء – ليس فوق مستوى النقد في جميع تصرفاته!

■ د. محمود زايد: استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة الاميركية ببيروت، دكتوراه من جامعة ييل، كما علم في جامعة ييل وتكساس.

رجل أحداث أم صانع تاريخ

من أي نوع من العظماء كان محمد علي؟ يقسم سيدني هوك عظماء التاريخ وأبطاله الى فئتين: فئة رجال الأحداث وفئة صانعي التاريخ. ويرى أن كليهما يوجه الأحداث وجهة ما كانت لتأخذها لولا تدخله. لكن في حين أن رجل الأحداث قد يكون انساناً عادياً في مواهبه وملكاته وأنه يتدخل في أحداث ليست من صنعه؛ وان تدخله قد لا يعدو أن يكون صدفة وعلى شكل قرار او مرسوم فإن صانع التاريخ يتميز بملكات وطاقات غير عادية ويخلق الظروف التي تمكنه من الوصول إلى غايته.

في ضوء هذا، نجد محمد علي صانعاً للتاريخ مثل معاصره نابليون! لقد ظهر كل منهما عند منعطف من تاريخ بلاده فاستغل مواهبه في سبيل السيطرة على مجرى الأحداث وتوجيهها الوجهة التي أرادها.

ولد محمد علي باشا في قوله بمقدونيا عام ١٧٦٩ وهو العام الذي ولد فيه نابليون ودوق ولنجتون؛ بطل ووترلو؛ وكان واحداً من سبعة عشر ولداً لأبيه لم يعش منهم غيره. وتوفي ابوه وهو صغير فكفله عمه؛ فلما توفي هذا كفله حاكم قولة، وانتظم في سلك الجندية ثم عمل بالتجارة قبل أن ينضم إلى كتيبة من ثلاثمئة جندي توجهت عام ١٨٠١ إلى مصر للاشتراك في الحملة العثمانية لاخراج الفرنسيين منها. وبفضل مواهبه وشجاعته استطاع قبل مضي بضعة أشهر أن يظفر برتبة لواء.

وقد نجح الاتراك بمساعدة الانجليز في حمل الفرنسيين على الجلاء عن مصر. وكانت مصر حتى استيلاء الفرنسيين عليها في عام ١٧٩٨ ولاية تركية يحكمها وال يعينه السلطان العثماني. لكن السلطة الفعلية فيها كانت قبل ذلك بزمن طويل قد صارت بيد المماليك. أما وقد جلا الفرنسيون عنها فقد تطلع الاتراك إلى بسط سلطانهم عليها مرة ثانية وإلى حكمها هذه المرة حكماً مباشراً. أما الانجليز الذين نبهتهم الحملة الفرنسية إلى أهمية مصر الاستراتيجية فقد ألقوا بثقلهم الى جانب الاتراك وأخرجوا الفرنسيين منها؛ ومن ثم؛ حرصوا على أن لا تقوم فيها قوة من شأنها أن تهدد المصالح البريطانية وبخاصة طريق بريطانيا إلى الهند.

دور يبحث عن بطل

لقد ترك جلاء الفرنسيين عن مصر فراغاً لم يكن في مقدور أي من الطامحين الى الحكم أن يملأه. فكل من فريقي الصراع الرئيسيين وهما الاتراك والمماليك انقسم على نفسه وكان المصريون



▲ محمد علي باشا مع السفراء الاجانب (للفنان روبرتس)



■ محمد علي باشا .. والصناعة الحربية (صورة فرنسية)

يكرهون الفريقين لأن أياً من المتنازعين لم يكن يكترث لمصالحهم. وعليه فقد رأى محمد علي بثاقب نظره أن هناك دوراً ينتظر بطلا، وأنه من الممكن لصاحب المواهب أن يقوم بالدور إذا هو تحالف مع قوة لم يكن جرى الاعتراف بها حتى ذلك الوقت وهي الشعب. وصمم محمد علي أن يكون ذلك البطل. فضرب الفرقاء المتنازعين أحدهم بالآخر وتحالف مع القوة الجديدة وهي القوة الشعبية، فاختاره زعماؤها عام ١٨٠٥ والياً عليهم، ولم يسع السلطان العثماني إلا أن يستجيب لارادتهم!

هكذا تمكن محمد علي أن يصبح والياً على مصر. ولكن طريقه الى التمكين لنفسه في منصبه لم يكن مفروشاً بالورود. فقد كانت تتهدده مؤامرات المماليك والأتراك في الداخل ودسائس انجلترا وتقلب تركيا في الخارج. لكنه استطاع بشجاعته ودهائه أن يتغلب عليها جميعاً. فقد استطاع أن يهزم حملة الجنرال فريزر التي جردتها انجلترا على مصر عام ١٨٠٧ لضرب تركيا فيها، لكنه في الوقت نفسه حفظ خط الرجعة مع بريطانيا بمعاملته الطيبة للاسرى البريطانيين وتسليمهم. وحاول إرضاء السلطان بتجريد الحملات على خصومه في بلاد العرب واليونان. وقضى على المماليك عام ١٨١١ بأن دبر لهم مذبحة القلعة! وبذلك تخلص من أعظم الأخطار الداخلية والخارجية.

لماذا السلطة؟

لو اكتفى محمد علي باشا بانجازاته حتى ذلك التاريخ (١٨١١) وتربع مطمئناً على عرش مصر وأخذ يقطف ثمار انتصاراته لما اختلف كثيراً عن غيره من الولاة الذين لم يكونوا يرون في السلطة الا سبيلا للمال والنفوذ. لكنه كان من أصحاب الأحلام العريضة والرؤى الصادقة، فلم ير في السلطة إلا سبيلا إلى خلق دولة حديثة مستقلة . وفي هذا يقول الأستاذ فؤاد شكري :

> "كان الوالي العظيم من أولئك الذين اصطلح المؤرخون على وصفهم بالحكام المستنيرين الذين يأخذون على عواتقهم الاضطلاع بأعباء الحكم وتبعاته لا حباً في اشباع غريزة السيطرة... بل رغبة في الاشراف الجدي على كل ما له مساس بحياة الأفراد من قريب أو بعيد حتى يمكن توجيههم إلى ما فيه إعلاء شأن الدولة".

على أن الطريق إلى الدولة الحديثة لم يكن هو أيضاً مفروشاً بالورود. لقد استطاع أن ينشيء حكومة مركزية تخضع فيها المجالس العليا واهمها المجلس العالي والديوان الخديوي وإدارات (وزارات) الدولة لسلطته في



■ محمد علي باشا

وقت قصير. لكن مسألة خلق دولة حديثة من ولاية فقيرة كمصر لم يكن ليتم بمثل ذلك التيسر. لقد كانت مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذي يليه، كما يقول الاستاذ شكري، "أسوأ الممتلكات العثمانيةحالا باستثناء العراق". فثلث الأراضي الزراعية في الوجه البحري كان قد طغت عليه الرمال فأصبح غير صالح للزراعة، وزاد الحالة سوءاً ارهاق الفلاحين بمختلف أنواع الضرائب الأمر الذي كان يدفعهم دائماً الى الفرار او الهجرة من قراهم. وبلغ الوضع في مقاطعة الفيوم التي اشتهرت بخصب أرضها من السوء بحيث أقفرت معه من سكانها.

ومن أعظم الصعوبات التي كانت تعترض طريق النهوض بمصر موقف سكانها التقليدي من الدولة، وهو موقف يشوبه العداء الشديد بسبب ما كان لحق بهم من ظلم في ظل الحكومات التي تعاقبت عليهم. فكان الفلاح:

> "يعرف كما يعرف أهل البلاد جميعاً أن الظلم أمر عادي، وأن العدالة رهن بما يقدم في سبيلها من رشوة. وقد نجم عن ذلك كله أن صار المصريون لا يعبأون بنوع الحكومة التي تتولى شؤونهم ولا يضيرهم أن يعزل أحد الولاة أو يصل أحد البكوات إلى مرتبة "المشيخة" ولا يسرهم أن يجيء وال جديد أو أن ينتزع المشيخة بيك آخر".

ولا عجب إذن أنّ خداع الدولة وتعطيل أوامرها والمماطلة في دفع الضرائب لها صار من دواعي الفخر عند عامة المصريين.

ومن العقبات الأخرى التي كانت تعترض طريق الاصلاح معارضة العناصر التركية التي كان افرادها قد اعتبروا استغلال الفلاح وغيره من المصريين امراً طبيعياً. ويذكر جسكيه الذي زار مصر في تلك الفترة أنهم كانوا يلجأون الى كل حيلة لتعطيل أوامر محمد علي وتعليماته والوقوف في طريق الاصلاحات التي يريد إدخالها.

عندما تزول العقبات

لقد أدرك محمد علي خطر تلك الصعوبات. وأيقن أن سبيله إلى الإصلاح يتوقف على أمرين: الأول الحصول على المال والثاني على الخبرة. ولقد حصل على المال بإلغاء الالتزام الذي كان الملتزمون يجمعون بموجبه الضرائب من الفلاحين وصادر الأراضي التي كانوا هم وغيرهم قد اغتصبوها، وأنشأ نظام الاحتكار الذي صارت الدولة بموجبه تشتري المحاصيل من الفلاحين وتصدرها.

وللحصول على الخبرة استعان بطائفة كبيرة من الأجانب وبخاصة من الفرنسيين! وأخذ يرسل البعوث العلمية إلى جامعات أوروبا لاكتساب العلم والخبرة



■ ابراهيم باشا

الفنية والاشتغال بهما وتعليمهما في مصر. وبهذا كان محمد علي الامي رائد التعليم الحديث في العالم العربي!

وكان من الطبيعي أن يبدأ محمد علي بناء الدولة الحديثة بانشاء جيش نظامي يدعم استقلال مصر تحت حكمه. فافتتح مدرسة حربية في أسوان لتدريب ضباط الجيش الجديد الذي عهد بتنظيمه إلى الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي). وقد بدأ محمد علي بتجنيد السودانيين لكنه لم يلبث ان تبين عدم صلاحيتهم فعمد الى تجنيد المصريين. فكان اول من جنّدهم منذ الفتح العثماني. وعلق على ذلك كاتبان اوروبيان في كتاب لهما بقولهما:

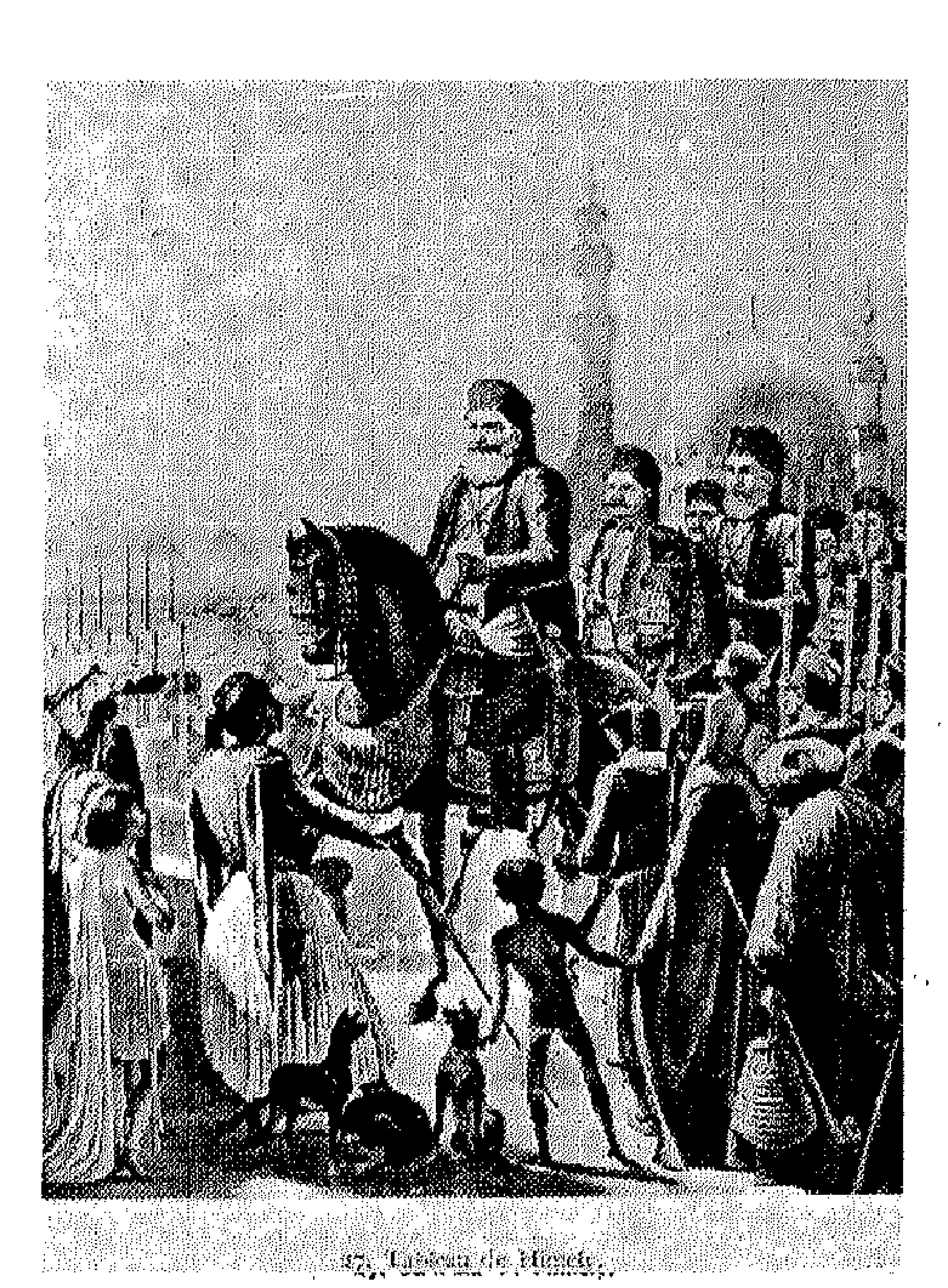
> "إن العرب من سكان وادي النيل لم يكن لهم، منذ الفتح العثماني حق الانتظام في الجيش، ولكن محمد علي أعاد اليهم هذا الحق، وهو بتجنيدهم - ولو أن ذلك على كره منهم - قد رفع من شأنهم وانتشلهم من الوحدة التي نزلوا اليها. وقد استردوا سمعتهم بما اظهروه من الشجاعة في ميادين الحروب التي خاضوها".

والواقع أن انجلترا كانت قد تآمرت مع حلفائها عام ١٨٢٧ على تدمير الاسطولين العثماني والمصري اللذين كانا يتعاونان خلال الحرب التركية اليونانية. وبالفعل جرى تدميرهما في ميناء نافارينو عام ١٨٢٧. لكن محمد علي لم يلبث أن أعاد بناء اسطوله!

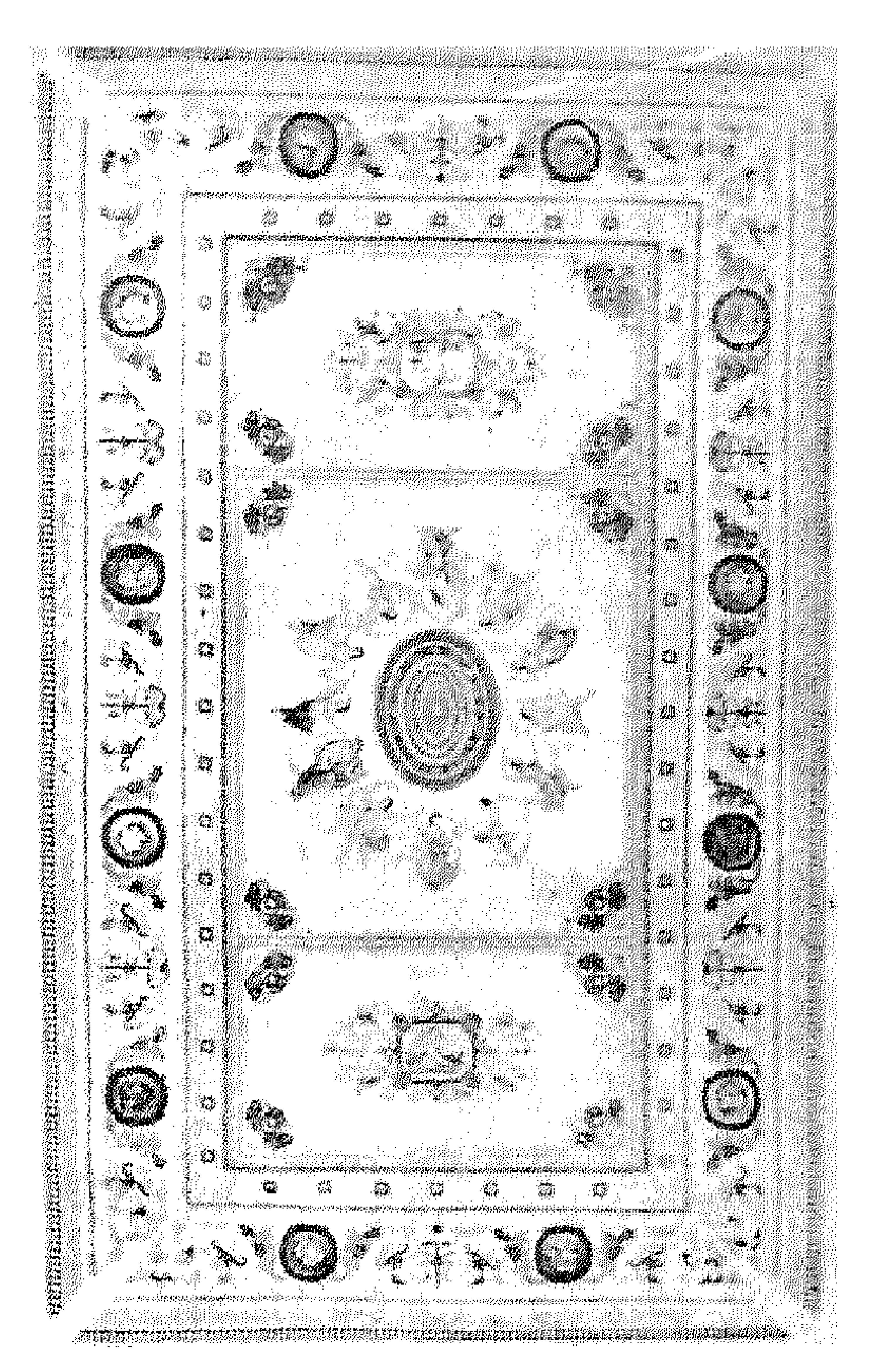
مصر الحديثه

لقد أدرك محمد علي أن أنشاء الجيش والاسطول يستلزمان النهوض بمختلف القطاعات الأخرى وخاصة التعليم والصناعة. وكانت المدارس المصرية الوحيدة في البلاد حتى بداية عهده هي الكتاتيب والكليات الدينية والجامع الازهر. فأنشا محمد علي مدارس حديثة ابتدائية وتجهيزية وخصوصية. وكان الغرض من الابتدائية نشر التعليم الأولي في البلاد واعداد الطلبة لدخول التجهيزية. وكان الغرض من التجهيزية اعداد الطلبة لدخول المدارس الخصوصية التي استهدفت اعداد الموظفين للادارات المختلفة من مدنية وعسكرية. وقد ضمت الخصوصية مدارس للهندسة والمدفعية والفرسان والمشاة والطب البشري والبيطري واللغات.

وقد اعتمد محمد علي في البداية على المدرسين الأجانب وبخاصة الايطاليين والفرنسيين. لكنه في الوقت ذاته أخذ يرسل البعوث إلى الخارج ليحل افرادها متى اتموا تعليمهم محل الأجانب. وقد حرص على أن تتخصص كل فئة من المبعوثين في



■ محمد علي باشا (للفنان هيملي)



■ احد سقوف قصر الجواهر

ومهما يكن من أمر فلم يحل عام ١٨٣٣ حتى كان الجيش المصري البري يضم ١٦٨،٨٩٩ جندياً. ولم يحل عام ١٨٣٩ حتى بلغ عدده ٢٣٥،٨٨٠ جندياً وبذلك أصبح أعظم قوة ضاربة في المشرق العربي.

وفي الوقت ذاته شرع محمد علي في بناء اسطول حديث يؤازر الجيش ويحميه وينقله إلى ساحات القتال! ولم يترك سبيلا الا سلكه في سبيل بنائه فأنشأ الترسانات وأرسل البعوث البحرية الى اوروبا وأنشأ المدارس البحرية لتخريج الضباط، واستعان بالمواهب المصرية والاوروبية وكتب شاهد عيان عن ثمار هذه الجهود يقول:

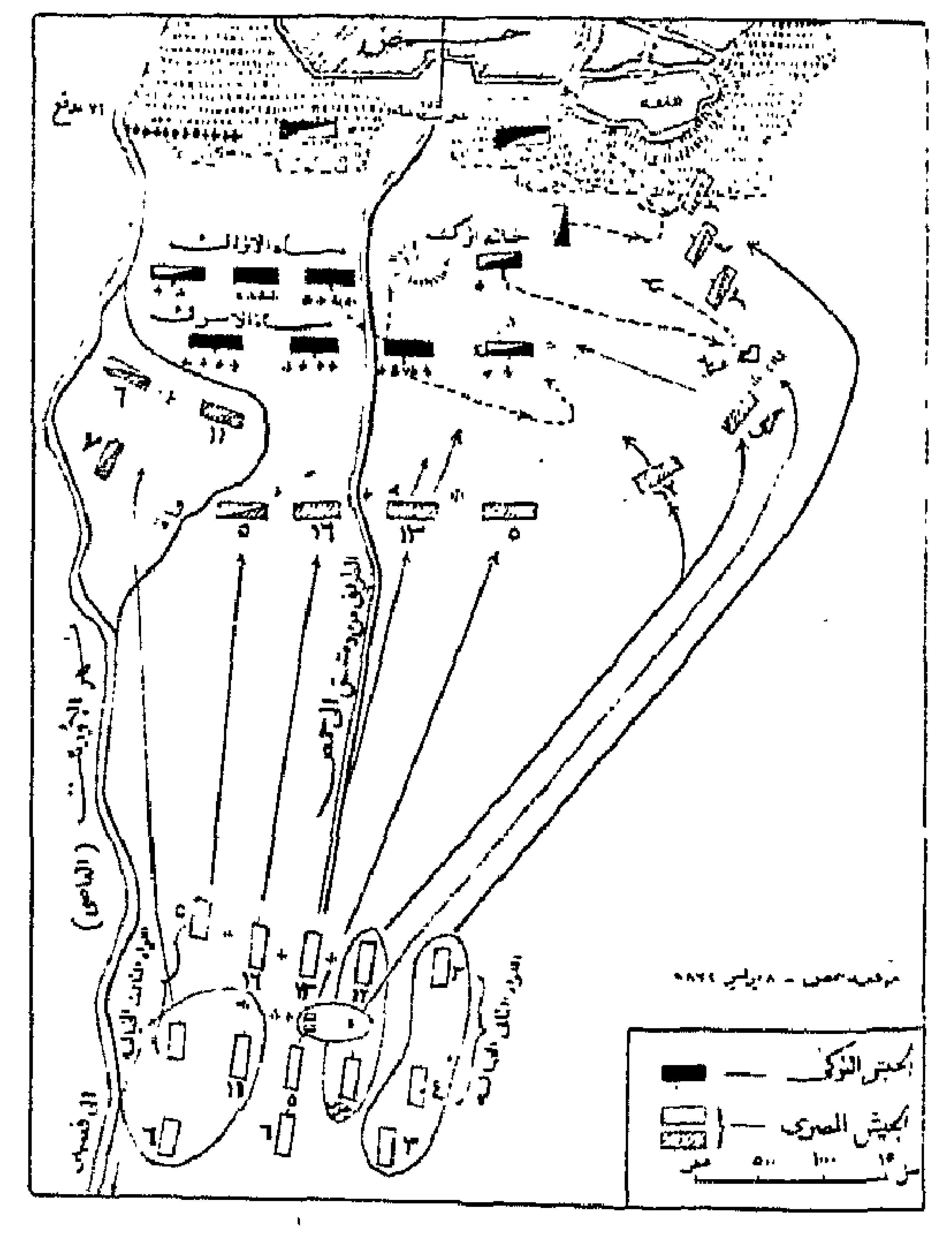
"زرت الترسانة والاسطول... ففي سنة ١٨٢٨ لم يكن بالاسكندرية الا ساحل مقفر، ولكن هذا الساحل أصبح في سنة معموراً بترسانة كاملة بنيت على مساحة واسعة، وأحواض للسفن، ومخازن ومعامل ومصانع لكل نوع.... وهذه الترسانة التي لم يمض على انشائها أكثر من ست سنوات قد صنع فيها عشر بوارج، سلاح كل منها مائة مدفع، وقد تم تسليح سبع منها تمخر العباب الآن، أما الثلاث الاخرى فلا تزال بالحوض على وشك نزولها إلى الماء، هذا عدا السفن التي من نوع الفرقاطة والكورفت والابريق، مما جعل عدد سفن الأسطول يزيد عن ثلاثين سفينة حربية...".

موضوع معين فيكون بينهم المعلمون والأطباء ورجال الادارة والضباط البريون والبحريون والعمال الفنيون والمهندسون وذلك للعمل في الطباعة والصباغة وصناعة الزجاج والاسمنت والتقطير وتكرير السكر وبناء السفن والتعدين ·

وقد بدأ محمد علي في إرسال البعوث إلى الخارج في عام ١٨٠٩ عندما أوفد بعثة إلى ايطاليا وفي عام ١٨١٣ أرسل بعثة أخرى ومن أبرز البعثات التي أرسلها بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا وقد ضمت أربعة وأربعين شاباً كان بينهم أرتين بك الذي عين بعد ذلك وكيلا لشورى المدارس وشغل منصب ترجمان الباشا وحسن الاسكندراني الذي قاد الأسطول المصري في حرب القرم، والشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي عين إماما للبعثة واشتهر بعدذلك بمؤلفاته والمناصب المدنية العليا التي احتلها، ومظهر باشا مؤسس القناطر الخيرية· وفي عام ١٨٣٩ غادرت الاسكندرية بعثة صناعية تتألف من ثمانيةوخمسين عضواً أرسل بعضهم إلى فرنسا وبعضهم إلى انجلتراوالباقون الى النمسا· واستمر سيل البعثات بعد ذلك· وقد بلغ عدد أعضاء البعثات بحسب احد التقديرات ٣٥٠ طالباً، وبلغت تكاليفها حوالي ٢٧٣٣٦٠ جنيهاً· ومما يذكر أن بين أعضائها من قضى ثلاث عشرة سنة في الخارج وأن منهم من قضى تسع عشرة سنة· وقضى بعضهم احدى وعشرين سنة·

ومحمد علي صاحب المحاولة الكبرى الثانية في الاسلام لترجمة العلوم الاجنبية الى العربية· وقد حذا حذو السلف في الحصول على الكتب، فكلف عثمان نور الدين، وهو أحد أعضاء البعثة الاولى باحضار كتب فرنسية في العلوم بما فيها الاقتصاد السياسي· وتدفقت الكتب بعد ذلك من كل ناحية· ونظم الباشا امر ترجمتها وتزويد المدارس بها، لتكون مراجع للاساتذة ومواد قراءة للطلبة· وكان من كبار المترجمين الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي قام أيضاً بمراجعة طائفة كبيرة من الكتب المترجمة وتعميمها· ومما يذكر أن الذين اشتغلوا في الترجمة عنوا عناية خاصة بترجمة المصطلحات والحاق قائمة بها بالكتب المترجمة·

وغني عن القول أنه كان لابد لمحمد علي من أن ينشيء مطبعة لطبع الكتب المترجمة· فأوفد نيقولا مسابكي الى ايطاليا للتخصص في فن الطباعة· فلما عاد الى مصر عهد اليه الباشا بانشاء المطبعة الاميرية في بولاق، فأنشئت عام ١٨٢٠، وبدأت عملها بعد ذلك بسنتين· وتلا انشاءها إنشاء مطابع أخرى بلغ عددها ثمانية الحقت واحدة منها بمدرسة الطب في ابي زعبل وكان اول كتاب طبعته هو "كتاب القول الصريح في علم التشريح" وذلك في عام ١٨٣٢· ولا بد لنا من أن نشير الى أن محمد علي كان الرائد الاول لنشر كتب التراث العربي الاسلامي· فقد قامت مطبعة بولاق بنشر عدد كبير من المراجع· وفي عام ١٨٣٨ أحصى القنصل



■ موقعة حمص (٨ يوليو ١٨٣٢)

الروسي الكتب التي صدرت عنها فوجدها ثلاثة وسبعين·

ولم يفت محمد علي ما للصحافة من أهمية كبيرة في حياة الدول المتقدمة فقام في البدء بتشجيع الصحيفة الفرنسية الاسبوعية "المونيتير اجيبسيان" التي كانت تدافع عنه وترد على الاتهامات التي كانت توجهها له "المونيتير اوتومان" في الآستانة، ثم لم يلبث ان أمر باصدار اول صحيفة مصرية وهي "الجورنال الخديوي" وتلتها "الوقائع المصرية" التي قدر لها ان تستمر الى الآن! وقد صدر العدد الاول منها في ٣ ديسمبر (كانون اول) عام ١٨٢٨·واقتصرت في البدء على نشر الاخبار الداخلية حتى اذا اعيد تنظيمها عام ١٨٤١ وسعت قسم الاخبار بحيث شمل الاخبار الخارجية أيضاً· وقد عهد بالاشراف على الوقائع الى الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي واصل العمل فيها الى عهد عباس الاول·

الصناعة

كان محمد علي رائد فكرة تصنيع مصر وصاحب اول مشروع من المشاريع الكبرى الثلاثة التي طبقت لتحقيقها والمشروعان الآخران هما مشروع اسماعيل باشا ومشروع الثورة المصرية (١٩٥٢)· ومن أهم الاسباب التي دفعت محمد علي الى تصنيع مصر هي اولا إمداد الجيش والبحرية المصرية بما يحتاجانه من أعتدة وثانياً تعديل الميزان التجاري لصالح مصر وثالثاً فكرة الاكتفاء الذاتي التي ترتبط

ارتباطاً وثيقاً بالميزان التجاري. وقد شرح محمد علي هذه الفكرة بقوله للبارون دي بوالكمت.

"لقد أدخلت تغييراً على علاقاتي التجارية لان المصانع التي أنشأتها استطاعت أن تخلصني اليوم من تلك الجزية التي كان على البلاد أن تدفعها للصناعة الاوروبية. وهكذا بقيت في مصر جميع الاموال التي كنت أدفعها ثمناً لأجواخكم وحرائركم".

واتبع محمد علي سياسة الاحتكار بالنسبة للصناعة فوضع يده على المصانع واستخدم الصناع فيها بالأجرة، وأخذ يبيع المنتجات لحساب الدولة. وقد وسع نطاق الصناعات القديمة وفيمقدمتها صناعة النسيج؛ فأنشأ مصانع كبرى جديدة زودها بأحدث الآلات الاوروبية؛ واستخدم فيها عمالا أوروبيين وبخاصة من ايطاليا ومالطة الى جانب المصريين. ومما ساعده على التوسع فيها وجود القطن ذي التيلة الطويلة الذي أدخل زراعته بناء على اقتراح من رجل فرنسي يدعى جوميل. وبلغ انتاج مصر منه بين ١٠٠،٠٠٠ و١٥٠،٠٠٠ بالة سنوياً تزن كل منها ما يقرب من قنطارين. وقد استطاعت المصانع المصرية في عهد محمد علي أن تسد حاجة الاستهلاك المحلي وأن تحقق فائضاً للتصدير وبلغ ما انتجته مصانع نسج الكتان في عام ١٨٣٣ مليون قطعة.

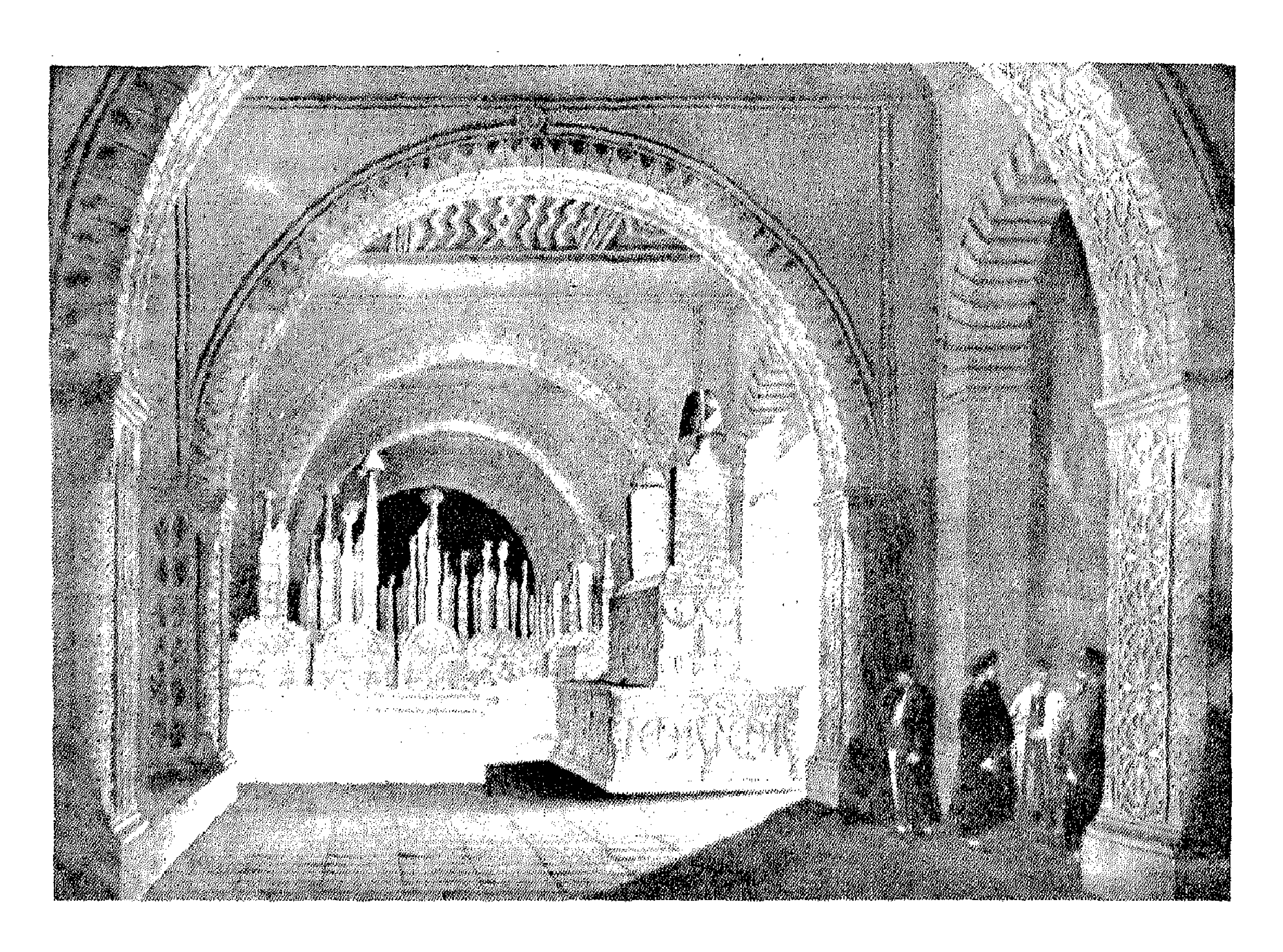


ومن الصناعات التي اولاها محمد علي المزيد من اهتمامه هي الصناعات الحربية. ففي عام ١٨٢٠ أنشأ ترسانة القلعة لصنع المدافع. وقد بلغ عدد عمالها عام ١٨٣٣ ألفاً وخمسمئة. وكانوا ينتجون بين ثلاثة واربعة مدافع في الشهر. وفي عام ١٨٢٩ أنشأمحمد علي الترسانة الكبرى في الاسكندرية لصنع السفن الحربية فأنزلت أول سفينة الى البحر عام ١٨٣١. وفيهذا العام ذاته كان يشتغل فيها ٣٢٦٤ عاملا. وقد ازداد عددهم فيما بعد فبلغ ٩٠٠٠ عامل ومن المصانع الأخرى التي انشأها مصانع لصنع الاسلحة الخفيفةوبخاصة البنادق.

وبالرغم من أن محمد سار شوطاً كبيراً في تصنيع مصر حتى بلغ ما انفقه على المصانع ما يقرب من اثني عشر مليوناً من الجنيهات فان تجربته لم تلاق النجاح الذي توقعه وذلك بسبب منافسة الصناعات الاوروبية وافتقار مصر الى مواد الصناعة وتكاليف الخبراء الباهظة. لكنها دون ريب بقيت حلماً في أذهان خلفائه الذين ساروا في طريقه.



■ مجزرة المماليك (للفنان هوراس فرنيه)



■ مقبرة عائلة محمد علي باشا (للفنان باسكال كوسته)

توحيد العرب تحت لواء مصر

كان محمد علي صاحب اول محاولة بعد وقوع البلاد العربية تحت حكم الاتراك لانتزاع المشرق العربي من الدولة العثمانية. وقد وضح له خلال الحروب التي خاضها بناء على اوامر السلطان ضعف الدولةمن ناحية وضرورة الاستيلاء على المشرق العربي

وما من دولة مصرية قوية أيضاً الا وبسطت نفوذهاعلى اليمن باب البحر الاحمر الجنوبي، او حاولت ذلك.

وكانت اولى الحروب التي خاضها في البلاد العربية حروبه ضد الوهابيين في الجزيرة. وقد تمكن عام ١٨١٨ وبعد حملات استمرت سبع سنوات من اخضاعهم باسم السلطان. وفي عام ١٨٢٠ استولى على السودان. وبعد بضع سنوات وعده السلطان بولاية سوريا، وذلك في مقابل اشتراكه مع الدولة العثمانية في حرب اليونان التي كلفته اسطوله. لكنالسلطان لم يف بوعده فزحف محمد علي عليها في عام ١٨٣١. ولم يكد ينسلخ شهر تموز من العام التالي حتى كانت بلاد الشام كلها في يده. ووجد الطريق أمامه الى القسطنطينيةمفتوحة فواصل زحفه. ولم يتوقف إلا بعد أن اعترف السلطان بولايته على بلاد الشام.

وقد استطاع محمد علي "أن يقيم نظاماً جديداً (في بلاد الشام) يعتمد على المساواة في الحقوق المدنيةوالدينيةوعلى ضمان الأرواح والممتلكات، وهو أمر لم تعرفه بلاد الشام منذ أيام الحكم العربي في دمشق. وبذلكأشرق عهدجديدحقاًوكان ابراهيم باشا يحاول - حين يذكر ما انجز من أعمال - أنيقدم بذلك الدليل الملموس على أن العرب، بعد زوال الحكم التركي، يستطيعون أن ينظروا في ثقة واطمئنان إلى مستقبل زاهر في ظل حكم محمد علي وأسرته".

وكان في استطاعة محمد علي ان يطيح بالسلطان وأن يجدد شباب السلطنة لولا أن الدول الاوروبية على اختلاف سياساتها اتفقت على شيء واحد وهو الحفاظ على "الرجل المريض" أي تركيا. فالرجل المريض يسهل معه تحقيق المطامع وعدم تهديد المصالح الاجنبية. واضطر محمد علي إلى التخلي عن بلاد الشام وحكم مصر تحت سيادة السلطان وذلك طبقاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠.